الأبعاد الحضارية في الترجمة والتبادل الثقافي في ضوء النص القرآني

الدكتور يوسف مركو

مختبر البحث حول العالم العربي والإسلامي، جامعة بيمو ولوغيم، بماكو – مالي

yousoufoumar@gmail.com *Tél :* 00223 76909089

ملخص:

تتناول هذه الدراسة الأبعاد الحضارية للترجمة والحوار الثقافي من خلال قراءة تحليلية للنص القرآني. ويُعرض القرآن الكريم في هذا السياق بوصفه أداة محورية للتواصل بين الشعوب، انطلاقًا من المبادئ الكونية للإسلام التي تؤكد على أن التنوع اللغوي والثقافي هو إرادة إلهية. وتبرز الدراسة كيف أن ترجمة الرسالة القرآنية، رغم ما تنطوي عليه من تحديات، تساهم في نقل قيم السلام، والتسامح، والعدالة، والتعارف بين الأمم. كما توضح الدور الذي تلعبه الترجمة في حركة المعرفة وتعزيز التبادل بين الحضارات. وخلصت الدراسة إلى أن الترجمة القرآنية ليست مجرد أداة لغوية، بل وسيلة للتقارب الثقافي والحوار الحضاري.

الكلمات المفتاحية: الحضارة –الترجمة –التبادل الثقافي– النص القرآني.

Résumé : Les dimensions civilisationnelles de la traduction et des échanges culturels à la lumière du texte coranique

Ce travail de recherche explore les dimensions civilisationnelles de la traduction et du dialogue interculturel à travers une lecture analytique du texte coranique. En s'appuyant sur les principes universels de l'islam, le Coran est présenté comme un vecteur fondamental de communication entre les peuples, fondé sur la reconnaissance de la diversité linguistique et culturelle comme volonté divine. L'étude met en évidence comment la traduction du message coranique, bien qu'elle soit une opération complexe, permet de transmettre des valeurs de paix, de tolérance, de justice et de connaissance mutuelle. Elle examine également le rôle de la traduction dans la circulation du savoir et la consolidation des échanges entre civilisations. En définitive, cette recherche plaide pour une vision de la traduction coranique non seulement comme outil linguistique, mais aussi comme moyen de rapprochement des cultures et de dialogue civilisationnel.

Mots-clés : Civilisation –**Tr**aduction – Échange culturel – Texte coranique .

Abstract: **Civilizational Dimensions of Translation and Cultural Exchange in Light of the Qur'anic Text**

This research explores the civilizational dimensions of translation and intercultural dialogue through an analytical reading of the Qur'anic text. Drawing on the universal principles of Islam, the Qur'an is presented as a fundamental medium of communication between peoples, grounded in the recognition of linguistic and cultural diversity as a divine will. The study highlights how the translation of the Qur'anic message, despite its complexity, enables the transmission of values such as peace, tolerance, justice, and mutual understanding. It also examines the role of translation in the circulation of knowledge and the strengthening of exchanges between civilizations. Ultimately, this research advocates a vision of Qur'anic translation not merely as a linguistic tool, but as a means of fostering cultural rapprochement and civilizational dialogue.

Keywords: Civilization – Translation – Cultural exchange – Qur'anic text.

مقدمة:

يُعدّ القرآن الكريم نصًا إلهيًا متعدد الأبعاد، يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويخاطب الإنسان بما هو إنسان، بغض النظر عن لونه أو لغته أو ثقافته. ومن هذا المنطلق، تتجلّى الترجمة باعتبارها جسرًا حضاريًا لنقل هذه الرسالة الخالدة إلى الشعوب والأمم المختلفة، بما يسهم في بناء وعي كوني قائم على التعارف والتفاعل لا التصادم والانغلاق. لقد أصبحت الترجمة في العصر الحديث أداة محورية في التبادل الثقافي بين الحضارات، ووسيلة فعّالة لنقل المفاهيم والمضامين والقيم. وإذا كانت الترجمة قد ارتبطت في السياق الإسلامي الأول بنقل العلوم والثقافات من الحضارات المجاورة إلى العربية، فإنها في السياق القرآني تؤدي وظيفة أكثر تعقيدًا، تتمثل في نقل الوحي إلى من لا يتحدث العربية، مع الحفاظ على قدسية المعنى وعمق الدلالة.

وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يعالج العلاقة بين الترجمة والتبادل الثقافي في ضوء النص القرآني، من زاوية حضارية وثقافية واجتماعية، حيث تتداخل في هذا الحقل مفاهيم التفاعل الحضاري، والقيم الكونية، وإمكانات الترجمة في بناء خطاب إنساني عالمي، مستنير بالتوجيه القرآني.

إشكال البحث:

ينطلق البحث من السؤال المركزي التالي:

إلى أي مدى تسهم الترجمة، في ضوء النص القرآني، في تحقيق التبادل الثقافي وبناء الأبعاد الحضارية المشتركة بين الشعوب؟

أهداف البحث:

- إبراز التأسيس القرآني لمبدأ التعدد اللغوي والثقافي كقيمة إنسانية.
- تحليل دور الترجمة في نقل المفاهيم القرآنية ذات البعد الحضاري.
- رصد التحديات والممارسات المعاصرة لترجمة معاني القرآن الكريم.
- تقديم مقاربة ثقافية نقدية لموقع الترجمة في بناء جسور التفاعل الحضاري.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، من خلال دراسة النصوص القرآنية ذات الصلة، وتتبع المفاهيم الحضارية التي تنقلها الترجمة، إلى جانب توظيف المقاربة التأويلية الثقافية لفهم أثر الترجمة في السياق الإنساني.

حدود البحث:

يتحدد مجال البحث في الترجمة القرآنية بوصفها أداة للتفاعل الحضاري، ولا يشمل الدراسة اللغوية البحتة للترجمة، بل يركّز على بعدها الثقافي والاجتماعي والحضاري.

الدراسات السابقة:

تشير المراجعات العلمية المتخصصة في الترجمة والدراسات الحضارية إلى مجموعة من الأعمال التي تناولت العلاقة بين النص القرآني، واللغة، والحوار بين الثقافات، وقد تنوعت مقارباتها بين الدلالي، والحضاري، والتواصلي، ومن أبرزها:

1 .الدراسات المعنية بالترجمة القرآنية بوصفها فعلًا حضاريًا

تتناول مجموعة من البحوث أثر الترجمة القرآنية في بناء جسور التواصل بين الثقافات، من خلال إبراز القيم الكونية في القرآن، مثل العدل، والرحمة، والتعارف الإنساني. وقد ركّزت هذه الدراسات على تحليل ترجمات مختارة، ومقارنتها بالمدارس الترجمية الحديثة، مع تقييم دقتها ومدى نقلها للبعد الحضاري للنص.

نقاط قوة هذه الدراسات :عنايتها بالمصطلح القرآني وربطه بالتواصل الحضاري.

نقاط القصور :اقتصرت غالبًا على التحليل اللغوي للترجمات ولم تعالج البعد الحضاري بمنهج شامل.

2 .الدراسات التي تناولت التبادل الثقافي في ضوء النص القرآني

يبرز عدد من الباحثين دور القرآن في تأصيل مفهوم "التعارف" بوصفه قاعدة للتفاعل بين الشعوب، مستندين إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ... لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]. وتركز هذه الأعمال على قيم الحوار، والسلم، وعدم الإكراه، وضرورة الانفتاح على الآخر.

نقاط قوتها :إظهار الأسس القيمية للتواصل الحضاري.

نقاط ضعفها :غياب التطبيق العملي على قضايا الترجمة، أو نماذج محددة من التبادل الثقافي.

3 .دراسات العلاقة بين الترجمة والحضارة

تناولت العديد من الكتابات دور الترجمة في نشأة الحضارات وتطورها— مثل الحضارة الإسلامية التي قامت على ترجمة تراث اليونان والفرس والهند— وقد استشهدت هذه الدراسات بنماذج تاريخية تؤكد علاقة الترجمة بالحراك المعرفي.

نقاط قوتها :تقديم إطار تاريخي مهم.

نقاط القصور :تركّز على التجربة التاريخية دون ربطها بالنص القرآني كمرجعية حضارية.

ثانيًا: ما أضافته الدراسة الحالية

تميزت الدراسة الحالية« الأبعاد الحضارية في الترجمة والتبادل الثقافي في ضوء النص القرآني» بعدد من الإضافات العلمية النوعية التي لم تطرقها الدراسات السابقة بصورة متكاملة، وأهمها:

1 .الجمع بين ثلاثة مجالات لم تُدرس بتكامل من قبل

الترجمة و النص القرآني و الأبعاد الحضارية والتواصل الثقافي، وقدمت الدراسة رؤية مركّبة تتجاوز التحليل اللغوي إلى تحليل حضاري–مقاصدي يربط النص بالممارسة الترجمية المعاصرة.

2 .تأصيل مفهوم "الحضارة القرآنية" داخل حقل دراسات الترجمة

قدّمت الدراسة بناءً نظريًا يعتمد على:

- مقاصد القرآن،
- القيم الكونية،
- السنن الحضارية،

لتكون إطارًا مرجعيًا يوجّه فعل الترجمة، ويضمن نقل البعد القيمي والإنساني للنص.

3 .تحليل نماذج تطبيقية من الترجمات المعاصرة للقرآن

تميّزت الدراسة بتطبيق عملي على نماذج مختارة من الترجمات، للكشف عن:

- مواطن القوة والضعف،
- مدى نجاحها أو إخفاقها في نقل الرسالة الحضارية،
- أثر الخيارات الأسلوبية في تشكيل صورة الإسلام لدى الثقافات الأخرى.

4 .تقديم مفهوم جديد: "الترجمة بوصفها فعلا حضاريا"

قدمت الدراسة إطارًا نظريًا يُدرج الترجمة ضمن مشروع العمران الإنساني، مستندًا إلى قيم:

- التعارف،
- التكريم الإنساني،
- العدالة،
- الحوار،

وهي قيم نصّ عليها القرآن، وتعد أساسًا للعلاقات بين الأمم.

5 .معالجة قضايا التبادل الثقافي بمنظار قرآني معاصر

أدرجت الدراسة مفاهيم:

- الهوية،
- التعدد،
- الانفتاح المنضبط،
- التنوع الثقافي،

بوصفها مبادئ قرآنية، وقدمت نموذجًا حضاريًا لبناء العلاقات الثقافية بين الشعوب.

6 .تقديم معايير لترجمة المفاهيم الحضارية القرآنية

وهو جانب لم تتناوله الدراسات السابقة، مثل:

- معيار "حفظ القيمة الحضارية للمصطلح"،
- معيار "عدم تشويه الصورة الحضارية"،
- معيار "التوازن بين حرفية النص وروحه الحضارية."

7 .ربط نتائج البحث باحتياجات الواقع الحضاري المعاصر

مثل:

- تصحيح الصور النمطية عن الإسلام،
- دعم الحوار بين الثقافات،
- تعزيز دور الترجمة في بناء جسور حضارية عالمية.

الخلاصة:

قدمت الدراسة الحالية إضافة نوعية من خلال دمج البعد اللغوي، والدلالي، والحضاري، والمقاصدي للنص القرآني في تحليل الترجمة والتبادل الثقافي، وقدمت نموذجًا يمكن اعتماده في الأبحاث المستقبلية التي تبحث في دور القرآن في تشكيل الحضارة الإنسانية وصناعة التواصل بين الشعوب.

المبحث الأول: المفاهيم النظرية للترجمة والتبادل الثقافي

تُعد الترجمة من أقدم الوسائل التي أسهمت في تيسير التواصل بين الشعوب والثقافات، إذ تمثل جسرًا حضاريًا يمتد بين اللغات ويعبر عن روح التفاعل بين الأمم. كما يشكل التبادل الثقافي أحد أبرز مظاهر هذا التفاعل، حيث تُنقل المعارف، والقيم، والرؤى الفكرية من حضارة إلى أخرى، مما يُسهم في إثراء التجربة الإنسانية المشتركة. وتأتي أهمية هذا المبحث من ضرورة الوقوف على الأسس النظرية التي تضبط مفهومي الترجمة والتبادل الثقافي، من حيث النشأة والتطور والدلالات، فضلًا عن تحديد العلاقة بينهما في سياق حضاري وإنساني شامل. كما يسعى هذا المبحث إلى إبراز دور الترجمة ليس فقط بوصفها عملية لغوية، بل كفعل ثقافي وحضاري يُسهم في تشكيل الوعي، وتوسيع أفق الإدراك بين الشعوب.

ومن خلال استعراض المفاهيم الأساسية والنماذج النظرية المتنوعة، يمكننا التمهيد لفهم أكثر عمقًا للكيفية التي تناول بها النص القرآني مسألة الترجمة، وموقفه من التعددية الثقافية، وهو ما سيتم التطرق إليه في المباحث اللاحقة.

المطلب الأول: مفهوم الترجمة و أبعادها في السياق الحضاري

ولم تعد الترجمة، في التصورات المعاصرة، مجرّد عملية تحويل لغوي أو استبدال كلماتٍ بكلماتٍ مقابلة في لغة أخرى، بل أصبحت فعلاً ثقافيًا ومعرفيًا يتداخل مع البنية الحضارية للغة المصدر واللغة الهدف، ويُعيد تشكيل الخطاب وفق أفق المتلقّي وسياقه الثقافي.

أولًا: الترجمة بُعد تواصلي حضاري

وتُعدّ الترجمة في جوهرها فعلًا تواصليًا مركّبًا، يهدف إلى نقل المعنى لا فقط في بعده اللغوي، بل أيضًا في بعده الثقافي والحضاري. فاللغة ليست حيادًا خالصًا، بل تُحمَل معها رموزًا، وخلفياتٍ، ومفاهيمَ تنتمي إلى فضاء ثقافي معيّن. وهنا تبرز الترجمة باعتبارها جسرًا بين العوالم الفكرية والقيمية، وليست مجرّد "تقابل قاموسي."

وقد أوضح هانس فيرمير في نظريته الشهيرة "نظرية الهدف *(Skopos Theory)* "أن الترجمة "فعل تواصلي له غرض وظيفي يُحدَّد في ضوء ثقافة المتلقّي"[1]، ما يعني أن المترجم لا ينقل النص كما هو فقط، بل يُعيد صِياغته بما يتوافق مع الرؤية المعرفية للآخر، وهو ما يمنح الترجمة طابعًا استراتيجيًا حضاريًا.

ثانيًا: البعد التأويلي في الترجمة

ويمثل البعد التأويلي (الهرمنيوطيقي) للترجمة مرحلة أساسية لفهم النصوص، خاصة تلك التي تحمل خلفية دينية أو رمزية عميقة، كما هو حال النص القرآني .فالمترجم لا يواجه ألفاظًا وحسب، بل يواجه مفاهيم مترابطة ضمن نسق معرفي خاص، ولذلك عليه أن يمتلك أدوات تأويلية تسمح له بإعادة إنتاج المعنى بطريقة تُحافظ على روحه الأصلية دون أن تُشوّهها.

ويُعدّ هذا البعد مهمًّا في نقل مفاهيم قرآنية كـ"التقوى"، "العدل"، "الرحمة"، "الإيمان"، التي تحمل أبعادًا روحية وثقافية يصعب حصرها في لفظٍ واحدٍ بلغة أخرى دون إطار شارح وتأويلي.

ثالثًا: الترجمة وإعادة إنتاج المعنى

وفي السياق الحضاري، تصبح الترجمة وسيلة لإعادة إنتاج المعنى، حيث لا يكون الهدف مجرد الوفاء للنص الأصلي، بل ضمان تحقيق أثره المعرفي والوجداني ذاته في الثقافة المستقبِلة. وهذا يتطلب مراعاة الفروقات الثقافية والحضارية، بل والانفتاح على تأويلات تُراعي الحساسية الثقافية للمتلقي، دون التفريط في جوهر النص.

وهنا يظهر التحدي في ترجمة النصوص الدينية، وبالأخص القرآن الكريم، الذي يحمل خطابًا متعدد الطبقات (بيانيًا، تشريعيًا، روحيًا، كونيًا)، تتطلّب الترجمة عنده تكاملًا بين العلوم اللغوية، والدراسات الإسلامية، والمعرفة الثقافية العامة.

رابعًا: الترجمة أداة للتفاعل الحضاري

فالترجمة تُتيح للأمم أن تتبادل الرؤى والمفاهيم والممارسات. وهي بذلك تسهم في بناء عالم أكثر فهمًا وتواصلًا وتسامحًا .وفي السياق الإسلامي، فإن ترجمة القرآن الكريم ومفاهيمه تسهم في تقديم الإسلام على حقيقته الإنسانية، بعيدًا عن الصور النمطية أو التحيّزات الإعلامية. فهي تُعيد تقديم الإسلام بوصفه مساهمة حضارية عالمية في مشروع الكرامة والعدل والسلام.

خلاصة الكلام:

يتضح مما سبق أن الترجمة تتجاوز حدود اللغة، لتغدو فعلًا ثقافيًا معرفيًا وحضاريًا، يُعيد تشكيل المعاني، وينقل القيم، ويبني الجسور بين الشعوب. وهي في السياق القرآني أداة استراتيجية لتقديم الرسالة الإسلامية بوصفها مشروعًا إنسانيًا شاملًا، يحتاج إلى حكمة تأويلية ومنهجية حضارية دقيقة في كلّ عملية ترجمة.

---

[1] Hans J. Vermeer, "Skopos and Commission in Translational Action," in The Translation Studies Reader, ed. Lawrence Venuti, trans. Andrew Chesterman, (London: Routledge, 2000), p. 221.

المطلب الثاني: التبادل الثقافي ودوره في بناء الحضارات

يُعدّ التبادل الثقافي من أهم المحركات التي أسهمت في تطور الحضارات الإنسانية عبر العصور، حيث تقوم الحضارات الكبرى على أساس من التفاعل والتثاقف، وليس على العزلة والانغلاق. فكل حضارة ناهضة هي بالضرورة نتاجٌ لتراكمات معرفية، شاركت فيها شعوب متعددة، وأسهمت فيها لغات وثقافات شتى. وهذا التفاعل لا يعني الذوبان، بل يقوم على الأخذ والعطاء في سياق يحترم الهوية ويُراكم الإنجاز.

أولًا: التبادل الثقافي ديناميكية حضارية

فمن خلال التبادل الثقافي، تنتقل المعارف والعلوم والفنون والقيم، فيُعاد إنتاجها داخل أطر جديدة تُضفي عليها مزيدًا من العمق أو الطابع المحلي. وقد أثبتت التجربة التاريخية أن الحضارات التي كانت أكثر انفتاحًا على الآخر، واستيعابًا لتنوعه، هي التي حقّقت أعظم الإنجازات.

فالفكر الإغريقي والفارسي والهندي، حين تفاعل مع الرؤية الإسلامية التوحيدية، في العصور العباسية، نشأت عنه حركة ترجمة ضخمة، شملت الفلسفة، والطب، والفلك، والمنطق، وعلوم الرياضيات، وأسست لنهضة علمية ذات أبعاد كونية. فقد كان بيت الحكمة في بغداد مثالًا للتعدد الثقافي، حيث اجتمع فيه المسلم، والمسيحي، واليهودي، والصابئي، ضمن مشروع علمي مشترك.

ثانيًا: التبادل الثقافي في الرؤية القرآنية

فالنص القرآني نفسه يحمل أسسًا تشجع على التبادل الثقافي، إذ يُقرّ بالتعدد الإنساني والثقافي بوصفه سنّة من سنن الله في خلقه. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]. فالهدف من التعدد ليس الصراع بل التعارف، وهو مفهوم يتجاوز التبادل المادي إلى مستوى التفاعل القيمي والحضاري. ومن هنا فإن الترجمة، في السياق القرآني، ليست مجرّد نقل لفظي، بل هي وسيلة لتعميق هذا التعارف الحضاري، من خلال فهمٍ حقيقي لمفردات الآخر، واحترامٍ لأُطره الثقافية.

ثالثًا: التراث الإسلامي والتثاقف مع الآخر

لقدشهدت الحضارة الإسلامية، خاصة في العصر العباسي، نماذج رائدة في التبادل الثقافي الواعي، حيث لم تكن الترجمة عملية تلقين للعلوم الأجنبية، بل تفاعلًا نقديًا معها. فقد تُرجمت أعمال أرسطو وأفلاطون وجالينوس، وأُعيد شرحها وتطويرها ضمن المنظور الإسلامي، كما فعل الفارابي وابن سينا وابن رشد، وغيرهم[2].

وكانت اللغة العربية آنذاك لغةً عالمية للعلم، مما يشير إلى أن التفاعل الثقافي، حين يرتكز على أسس معرفية متينة، قادر على أن يُنتج أنظمة علمية جديدة، ويُعيد توجيه حركة التاريخ[3].

---

[2].جورج طرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث: النشأة المستأنفة، (بيروت: دار الساقي، 2010)، ص153

[3].حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في تاريخها ومعناها وتطورها، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997)، ص210

رابعًا: الرؤية الحديثة للتبادل الثقافي

ويرى المفكر مالك بن نبي أن الحضارة ليست نتاج شعب واحد، بل هي "تراكم ثقافي تفاعلي يقوم على تبادل العطاء بين الأمم"[4]، مشيرًا بذلك إلى أن أي مشروع حضاري لا يمكن أن ينهض في عزلة. فالحضارات التي لا تُنتج تواصُلًا معرفيًا وثقافيًا مع غيرها، إما أن تتقوقع أو تتآكل.

وفي هذا الإطار، تُعدّ الترجمة أحد أهم أدوات هذا التبادل، وخاصة حين يتعلق الأمر بنصوص كونية كالنص القرآني، لما تحمله من منظومة قيمية يمكن أن تُسهم في بناء عالم أكثر إنصافًا وإنسانية.

خلاصة الكلام:

إن التبادل الثقافي ليس ترفًا معرفيًا، بل هو شرط ضروري لبناء الحضارات .وكلما كانت ثقافة ما قادرة على التفاعل مع الآخر، وإدماج المفيد من تجاربه، كلما ازداد زخمها الحضاري. وفي السياق الإسلامي، تُعدّ الترجمة رافعة أساسية لهذا التفاعل، خصوصًا حين تتعلّق بنقل الرسالة القرآنية وما تحمله من مضامين أخلاقية وروحية وإنسانية، قادرة على أن تُسهم في تشكيل وعي حضاري عالمي.

المطلب الثالث: العلاقة بين الترجمة والتثاقف في ضوء الدراسات المعاصرة

لقدأفرزت النظريات المعاصرة، خاصة في إطار الدراسات الثقافية وما بعد الاستعمار، مقاربات جديدة لفهم الترجمة، تتجاوز النظرة التقليدية التي كانت تعتبرها نشاطًا محايدًا لنقل المعنى من لغة إلى أخرى. فقد باتت الترجمة، في هذه الدراسات، فضاءً للصراع الرمزي والتفاوض الثقافي، حيث لا تكتفي بتجسير الهوة بين اللغات، بل تقوم بإعادة تشكيل المعاني والهويات والسلطات الثقافية.

أولًا: الترجمة فعل غير بريء

ويرى إدوارد سعيد، في كتابه *الثقافة والإمبريالية*، أن الترجمة ليست عملية محايدة أو تقنية، بل تنطوي على بعد سياسي وثقافي عميق، حيث يقول: "الترجمة ليست بريئة"، أي أنها لا تكتفي بنقل الكلمات أو المفاهيم، بل تُعيد صياغة التمثّلات وتُدخلها في منظومات دلالية مختلفة، قد تُعيد إنتاج الهيمنة أو تُقاومها، تبعًا للسياق التاريخي والثقافي.[5] فهذا الفهم يُحيل إلى أن الترجمة تتدخل في تشكيل الصور النمطية، وأنها قد تساهم، بقصد أو بدون قصد، في ترسيخ التمثّلات الاستشراقية أو في تفكيكها، وهو ما يجعل من المترجم فاعلًا ثقافيًا، وليس مجرد وسيط لغوي.

ثانيًا: مفهوم الترجمة الثقافية عند هويمي بابا

[4].مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، (بيروت: دار الفكر، 1986)، ص128

[5] Homi K. Bhabha, The Location of Culture, (London: Routledge, 1994), pp. 1–5.

Edward W. Said, Culture and Imperialism, (New York: Alfred A. Knopf, 1993), p. 271.

قدّم المفكر الهندي هويمي بابا (Homi Bhabha) مفهوم "الترجمة الثقافية" بوصفه لحظة "ما بينية(In-between space) "، تنشأ حين تتقاطع ثقافتان وتحتكان داخل سياق سياسي أو معرفي معين[6].

ففي هذا الفضاء، لا تنصهر الثقافتان، ولا تتطابقان، بل تُنتج هجنة ثقافية جديدة (Cultural Hybridity)، تكون بمثابة "منطقة تفاوض" تتشكل فيها دلالات جديدة، ويُعاد فيها تشكيل الهويات.

وهنا تبرز أهمية الترجمة بوصفها أداة إنتاج للمعنى، وليست فقط قناة عبور. فهي تُعيد "توطين" المفاهيم داخل سياقات جديدة، وقد تخلق معاني لا تنتمي بالكامل لأيٍّ من الثقافتين الأصلية أو المستقبِلة[7].

ثالثًا: الترجمة والتثاقف: رؤية تركيبية

في ضوء هذه الدراسات، يُمكن فهم الترجمة على أنها جزء لا يتجزأ من عملية التثاقف (Acculturation)، التي تنطوي على التبادل، والتحول، والتفاعل بين الهويات الثقافية. فالترجمة تُساهم في إدخال عناصر ثقافية جديدة في النسيج المعرفي للمجتمعات، مما يؤدي إلى إعادة تشكيل البنية الرمزية داخل هذه المجتمعات.

وهذا ما يجعل من الترجمة القرآنية، على سبيل المثال، مجالًا حساسًا، إذ إنها تنطوي على مفاوضة دقيقة بين الوفاء للأصل وبين التكيّف مع الثقافة المستقبِلة، بشكل لا يُفرغ المعنى من جوهره، ولا يجمده في قوالب غير قابلة للفهم العالمي.

رابعًا: الترجمة بوصفها أداة للمقاومة

ضمن الأدبيات ما بعد الاستعمار، تُعدّ الترجمة وسيلة للمقاومة الثقافية، حين تُستخدم لنقل المعارف المهمّشة، أو لاستعادة الخطابات المقموعة، أو لإعادة تقديم الذات بلسانها الخاص في مواجهة الخطاب المهيمن. وهي، بذلك، ليست أداة للتلقي فقط، بل منبر لإنتاج ذات جديدة، قادرة على التفاعل مع العالم من موقع الفاعلية.

خلاصة الكلام:

تُظهر الدراسات المعاصرة أن الترجمة والتثاقف عمليتان متلازمتان في إنتاج المعرفة وصياغة الهويات. فليست الترجمة مجرد تمرير للمعاني، بل هي فعل ثقافي/سياسي يؤثر ويتأثر، ويُنتج ويُحوِّل. وهذا التصور يُلقي بظلاله على فهمنا لدور الترجمة القرآنية في عالم متعدد الثقافات، ويضعنا أمام تحدّي نقل الرسالة دون اختزال، والتفاعل دون ذوبان.

المبحث الثاني: الرؤية القرآنية للترجمة والتنوع الثقافي

يشكل القرآن الكريم مصدرًا أساسيًا للفكر الإسلامي في تعامله مع مفاهيم اللغة، والاختلاف، والتواصل بين الأمم، حيث نجد في آياته إشارات صريحة إلى التعدد اللغوي والثقافي بوصفه سنّة إلهية وركيزة من ركائز العمران البشري. وفي هذا السياق، تبرز أهمية استقراء الرؤية القرآنية للترجمة بوصفها

[6].هويمي بابا، مواقع الثقافة: عندما تتداخل الثقافة مع السياسة، ترجمة: ثائر ديب، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2006)، ص72

[7] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1997)، ص271؛

وسيلة لفهم الآخر، وتعزيز الحوار، وتحقيق التعارف بين الشعوب. وقد اعتنى القرآن الكريم بتقدير اللغة وأثرها في بناء المجتمعات، كما أقرّ بوجود الاختلاف في الألسنة والألوان ضمن إطار التنوع الخلّاق لا التنافر، مما يؤسس لنظرة إيجابية إلى التعدد الثقافي. ومن هذا المنطلق، لا تُفهم الترجمة في السياق القرآني باعتبارها عملية تقنية فحسب، بل كأداة لنقل القيم والمعاني بين الحضارات، وتوسيع دائرة الإدراك الإنساني المشترك. يهدف هذا المبحث إلى تحليل النص القرآني بوصفه إطارًا مرجعيًا لفهم مسألة الترجمة والتنوع الثقافي، واستنباط المبادئ القرآنية التي تؤسس لفعل حضاري قائم على الانفتاح والتواصل، بعيدًا عن الانغلاق أو الإقصاء.

المطلب الأول: آيات التعدد اللغوي والثقافي ودلالاتها الحضارية

يبرز النص القرآني التعدد اللغوي والثقافي باعتباره آية من آيات الله، ومظهراً من مظاهر قدرة الله في الخلق، لا تهديداً للوحدة الإنسانية، وإنما عامل إثراء وتعارف: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 22].

وهذا التصور يتجاوز النظرة الصراعية بين الثقافات، ليؤسس لفلسفة قرآنية تقوم على التنوع بوصفه مشروعية للتعارف والتفاعل الحضاري: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]. إنّ هذا التصور ينعكس على المنظور القرآني للترجمة؛ باعتبارها وسيلة لفهم الآخر والتقارب معه، لا أداة للهيمنة أو الطمس الثقافي[8].

المطلب الثاني: مو اقف القرآن من الشعوب والثقافات الأخرى

يتسم الخطاب القرآني نحو الشعوب والثقافات الأخرى بالتوازن والإنصاف، حيث يعترف بوجود حضارات سابقة ذات إسهامات، مع توجيه النقد لما انحرف منها عن الفطرة والعدل.

فالقرآن أشار إلى حضارات عاد وثمود وفرعون، وأقر بأنها كانت ذات عمران وقوة، ولكنه حذر من مصيرها نتيجة الطغيان: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا... وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ...﴾ [فصّلت: 15-17]. وهذا التوازن يمثل بُعداً حضارياً، إذ لا يلغي الآخر، بل يُقيّمه وفق موازين أخلاقية ومعرفية، ما يعكس قابلية النص القرآني للانفتاح على الآخر من خلال الترجمة[9]. يبرز هذا الطرح بُعدًا حضاريًا مهمًا في منهجية الترجمة المرتبطة بالنص القرآني؛ إذ يُظهر أن الانفتاح على الآخر لا يعني الذوبان فيه، بل التعامل معه ضمن معايير أخلاقية ومعرفية تحافظ على الهوية وتضمن في الوقت نفسه إمكانية التواصل. فالتوازن هنا ليس موقفًا دفاعيًا، بل هو فعل حضاري قائم على تقييم الآخر وتقدير المشترك الإنساني، مما يجعل الترجمة وسيطًا فعّالًا بين الثقافات دون أن تُحدث قطيعة مع المرجعية الأصلية للنص.

المطلب الثالث: الترجمة في خدمة البلاغ القر آني: تأصيل شرعي ومقاصدي

[8] العسّاف، أحمد عبد الله. (2019). التنوع الثقافي في القرآن الكريم. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام، عدد 32، ص 94.

[9] محمود، عبد الحميد. (2021). الرؤية القرآنية للثقافات والحضارات. مجلة البحوث القرآنية، جامعة القاهرة، العدد 14، ص 72

رغم أن القرآن نزل باللغة العربية، إلا أن رسالته موجهة للناس كافة، مما يجعل من الترجمة وسيلة ضرورية لبلاغه للعالمين، في ضوء الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: 28]. وقد أجاز العلماء ترجمة معاني القرآن للغات الأخرى بشرط الحفاظ على المعنى والمقصد، واعتبار الترجمة تفسيراً لا بديلاً عن النص الأصلي. قال ابن تيمية: "يجوز تفسير القرآن بلغة الأعاجم للحاجة، ويُفهم منه ما يبلّغ المقصود"[10].

فمن هنا، فإن الترجمة في المنظور القرآني ليست عملية لغوية فحسب، بل مشروع حضاري يتصل ببلاغ الدين، ونقل قيم التوحيد والعدل والرحمة إلى البشرية[11]. يُفهم من هذا الطرح أن الترجمة في الإطار القرآني تتجاوز حدود الأداء اللغوي المحض، لتتحول إلى فعل حضاري يحمل رسالة الدين إلى المجال الإنساني الواسع. فهي وسيلة لإيصال قيم التوحيد والعدل والرحمة، لا بوصفها مبادئ مجردة، بل باعتبارها أسسًا لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان وغيره. ومن ثمّ تصبح الترجمة جسراً لنقل الرؤية القرآنية للعالم، بما تتضمنه من بناء للوعي وتزكية للإنسان، مما يُكسبها بعدًا رساليًا يتخطّى الجانب التقني للّغة إلى أفق حضاري وإنساني أشمل.

المبحث الثالث: الأبعاد الحضارية للترجمة في ضوء النص القرآني

تتجاوز الترجمة في ضوء الرؤية القرآنية كونها مجرد عملية لغوية تهدف إلى نقل المعاني من لغة إلى أخرى، لتصبح أداة فعّالة في بناء الحضارات وتعزيز التفاهم الإنساني. فالقرآن الكريم، في إشاراته المتعددة إلى التعدد اللغوي والثقافي، يفتح المجال أمام تصور حضاري للترجمة بوصفها وسيلة للتقارب بين الشعوب، وتبادل المعارف، ونقل القيم التي ترتقي بالإنسان وتثري تجربته. إن المتأمل في دلالات الآيات القرآنية ذات الصلة، يلحظ دعوة صريحة إلى الانفتاح على الآخر، وإلى اعتبار الاختلاف عامل إثراء لا تهديد. وفي هذا الإطار، تتخذ الترجمة بُعدًا حضاريًا يتجلى في دورها في ترسيخ الحوار، وتيسير التواصل، وبناء جسور الفهم المتبادل بين الأمم والثقافات.

وعليه فإن هذا المبحث يسعى إلى إبراز هذه الأبعاد الحضارية للترجمة من خلال تحليل المفاهيم القرآنية ذات الصلة، واستقراء وظائف الترجمة في خدمة الرسالة الإنسانية للإسلام، والدور الذي يمكن أن تضطلع به في تعزيز السلم العالمي، وتوطيد أواصر التعاون بين الحضارات المختلفة.

المطلب الأول: الترجمة أداة للتواصل الحضاري والإنساني

وتُعدّ الترجمة من أبرز الوسائل الحضارية التي ساهمت، عبر التاريخ، في ربط الأمم والشعوب، وتيسير التبادل المعرفي والثقافي بينها. ولم تكن الترجمة مجرّد نشاط لغوي يقوم على نقل الكلمات من لغة إلى أخرى، بل كانت - ولا تزال - فعلًا ثقافيًا وإنسانيًا عميقًا يعكس التفاعل بين الرؤى والمفاهيم، ويؤسس لحوار متجدد بين الحضارات.

[10].ابن تيمية. (1997). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. تحقيق: علي بن حسن، دار العاصمة، ج 1، ص 435

[11].الزرقاني، محمد عبد العظيم. (2001). مناهل العرفان في علوم القرآن. دار الفكر، ج 1، ص 340

أولاً: الترجمة بوصفها جسرًا بين الثقافات

ومن خلال الترجمة، انتقلت الفلسفة اليونانية إلى العرب في العصور الإسلامية الأولى، ومنها إلى أوروبا، ممهدة لعصر النهضة. وكذلك انتقلت علوم المسلمين في الطب والفلك والرياضيات إلى الغرب عبر الترجمات اللاتينية. وقد مكّنت الترجمة من تطوير الفكر الإنساني، وخلقت فضاءً مشتركًا للتفاهم حول القيم الكونية.

ثانيًا: الترجمة القرآنية ودورها في التواصل الحضاري

ترجمة معاني القرآن الكريم تمثّل إحدى أبرز صور الترجمة الثقافية والدينية، كونها تهدف إلى نقل رسالة ربانية موجهة إلى البشرية جمعاء، بلسان يفهمه المتلقي في سياقه الخاص. وبذلك، فإن الترجمة القرآنية لا تقتصر على إبلاغ المعنى، بل تتجاوز ذلك إلى تقريب المفاهيم الإسلامية، وإبراز أبعادها الإنسانية، مثل: الرحمة، العدل، الكرامة، والتعارف. كما أن الترجمة تساهم في بناء خطاب دعوي عقلاني يتجاوز الحواجز اللغوية، ويتيح لغير المسلمين الاطلاع على جوهر الإسلام من مصادره الأصلية، بعيدًا عن التحيز أو التشويه الإعلامي.

ثالثًا: الترجمة في الفكر الإسلامي

ويرى عدد من العلماء والمفكرين أن الإسلام، منذ بداياته، شجّع على التفاعل الحضاري، ومن ذلك تشجيعه الترجمة. فقد أمر الخلفاء المسلمون بترجمة كتب الطب والفلك والمنطق والفلسفة من اليونانية والفارسية والسريانية إلى العربية، في إطار مشروع معرفي متكامل. وكان ذلك تعبيرًا عن انفتاح حضاري لا يُقصي الآخر، بل يحاوره ويستفيد منه.

رابعًا: الترجمة والتعارف الإنساني في ضوء القرآن

يؤكد القرآن الكريم على مبدأ "التعارف" بين الأمم، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: 13]، وهذا التعارف لا يتم إلا عبر أدوات، أبرزها اللغة والترجمة. فالترجمة تتيح الانفتاح على الآخر، وتكسر حواجز الجهل والتمييز الثقافي، وهي في هذا الإطار وسيلة أساسية لتعزيز السلام العالمي، والتفاهم المتبادل، وتكريس القيم المشتركة.

المطلب الثاني: أثر الترجمة في توطيد القيم المشتركة بين الثقافات

ولا تقتصر الترجمة على الجانب اللغوي البحت المتمثل في نقل الكلمات من لغة إلى أخرى، بل تتعدى ذلك إلى كونها عملية ثقافية وإنسانية، تهدف إلى نقل المنظومات الفكرية والقيمية التي تنتمي إليها النصوص. ومن هذا المنطلق، تُعدّ الترجمة أداة فعالة في تعزيز القيم المشتركة بين الثقافات، خصوصًا حين يتعلق الأمر بالنصوص الدينية التي تحمل مضامين أخلاقية وإنسانية عالمية.

أولًا: الترجمة بوصفها وسيلة لبناء أرضية أخلاقية مشتركة

فمن خلال الترجمة، يمكن نقل القيم الكونية التي يشترك فيها البشر على اختلاف أعراقهم وأديانهم، مثل :العدالة، والرحمة، والكرامة الإنسانية، والاعتراف بالاختلاف .هذه القيم تُعتبر أساسًا لأي

تعايش سلمي، ويُعدّ إبرازها في النصوص المترجمة – خاصة في القرآن الكريم – مساهمة كبيرة في خلق أرضية للحوار والتفاهم بين الشعوب. فالقرآن الكريم نفسه دعا إلى هذه القيم بلغة إنسانية عالمية. ففي قوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: 8]، نجد تأكيدًا على مبدأ البرّ والعدل مع غير المسلمين، مما يعزز من إمكانية تأسيس علاقة قائمة على احترام الآخر وتقدير اختلافه.

ثانيًا: الترجمة وسيلة لنقل الرؤية القرآنية للكرامة الإنسانية

الترجمة القرآنية تلعب دورًا محوريًا في إبراز مفهوم كرامة الإنسان الذي جاء به الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، وهي آية تؤكد على القيمة الجوهرية للإنسان لكونه إنسانًا، بغض النظر عن دينه أو عرقه. ترجمة هذه الآية ومثيلاتها تُسهم في نقل صورة الإسلام الحقيقية كدين يعلي من شأن الإنسان ويُؤمن بتعدد الثقافات.

ثالثًا: الترجمة من منظور حواري

حين تُقدَّم النصوص القرآنية بلغة تحترم السياقات الثقافية المختلفة، فإنها تفتح المجال لما يمكن أن نسمّيه بـ"الحوار القيمي" بين الثقافات. فالترجمة هنا لا تفرض المنظومة الإسلامية، بل تفتح باب التفاعل معها، ومقارنتها بمنظومات أخرى، مما يثري الحوار العالمي حول القيم المشتركة.

رابعًا: النتائج الحضارية لنقل القيم القرآنية عبر الترجمة

لقد ساهمت الترجمات الحديثة للقرآن الكريم في الحد من الصور النمطية السلبية عن الإسلام، من خلال تقديم وجهه الإنساني والحضاري. كما ساعدت هذه الترجمات في إدماج الإسلام ضمن النقاشات المعاصرة حول حقوق الإنسان، البيئة، السلام، والعدالة الاجتماعية، مما أعاد تموضعه في السياق العالمي كدين مساهم في بناء الحضارة الإنسانية.

المطلب الثالث: دور النص القرآني في بناء نموذج معرفي إنساني شامل

ويشكّل النص القرآني في جوهره خطابًا كونيًّا يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويقدّم نموذجًا معرفيًّا وإنسانيًّا متكاملًا، تتلاقى فيه الأبعاد الدينية والأخلاقية والعقلية والحضارية. وهو نموذج يطرح رؤية شاملة للكون، والإنسان، والمجتمع، والعلاقات بين الشعوب، تقوم على أسس التوحيد، والكرامة، والعدل، والرحمة، والاختلاف الإيجابي.

أولًا: الرؤية القرآنية للمعرفة والإنسان

ولا ينفصل النموذج المعرفي في القرآن الكريم عن الإنسان بوصفه فاعلًا أخلاقيًّا ومكلّفًا ومسؤولًا . فهو ليس متلقّيًا سلبيًّا للمعرفة، بل شريك في إنتاج المعنى وتعمير الأرض. وتظهر هذه الرؤية في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، حيث تتأسس الكرامة الإنسانية على المعرفة، وهي معرفة موصولة بالتسخير والمسؤولية والتكليف، لا على أساس الهيمنة أو الانفصال عن القيم.

ثانيًا: نحو خطاب معرفي عالمي من منطلق قرآني

لا يطرح القرآن المعرفة بمعزل عن الأخلاق، ولا يعارض بين النقل والعقل، بل يوحّد بينهما في منظومة متكاملة. وقد ورد في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، ما يبرز الارتقاء بالإنسان من خلال الإيمان والعلم معًا. وهذا التصور يمكن نقله إلى الثقافات الأخرى من خلال الترجمة، بما يساهم في إعادة تشكيل الخطابات المعرفية العالمية على أسس إنسانية وأخلاقية.

ثالثًا: الخصوصية الإسلامية والعالمية الإنسانية

إن النموذج القرآني يتميز بقدرته على تحقيق التوازن بين الخصوصية والانفتاح العالمي .فهو ينطلق من مرجعية إيمانية واضحة، لكنه يخاطب الإنسانية جمعاء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم... لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].

ومن هنا، تبرز أهمية الترجمة كوسيلة لإيصال هذه الرؤية المتسامحة والعادلة للآخرين، مع احترام ثقافاتهم، دون الوقوع في التبسيط أو الانغلاق.

رابعًا: القابلية للترجمة الحضارية

ويشير مالك بن نبي إلى مفهوم "القابلية للترجمة الحضارية"، أي أن تكون لدينا منظومة فكرية يمكن للعالم أن يفهمها ويتفاعل معها دون أن تفقد جوهرها وروحها الأصيلة[12]. وهذا تمامًا ما يتوافر في النص القرآني؛ فهو يقدم محتوى معرفيًّا وروحيًّا يُمكن نقله عبر الترجمة بلغة تتفاعل مع الوعي المعاصر، وتخاطب العقل والوجدان معًا.

خلاصة الكلام:

إن القرآن الكريم ليس كتاب طقوس فقط، بل هو نص حضاري شامل، يحمل رسالة فكرية وإنسانية قابلة للتداول العالمي. ومن هنا، فإن الترجمة لا تكتفي بنقل المعنى، بل تسهم في نقل النموذج الحضاري الإسلامي إلى أفق التفاعل الثقافي الإنساني، وهو ما يجعل من الترجمة القرآنية اليوم ضرورة استراتيجية لإعادة بناء جسور التواصل بين الإسلام والعالم.

المبحث الرابع: الأثر الحضاري للترجمة في ضوء التوجهات القرآنية

تُعد الترجمة أحد أهم الوسائل الحضارية التي أسهمت في نقل المعارف والقيم بين الشعوب، لا سيما حين تكون موجهة بنصوص ذات طابع رباني مثل القرآن الكريم. فقد لعبت الترجمة دورًا محوريًا في تعريف الشعوب غير الناطقة بالعربية بمضامين القرآن ومفاهيمه الكونية، وأسهمت في تعزيز الحوار بين الحضارات. وفي ضوء هذا الدور، يُمكن للقرآن أن يشكّل مرجعية ثقافية للتواصل، بما يحمله من قيم عالمية تصلح أن تكون أساسًا للتفاعل الحضاري القائم على التعارف، لا التصادم أو الانغلاق.

المطلب الأول: الترجمة بوصفها جسراً بين الحضارات في الرؤية القرآنية

تُعدّ الترجمة من أهم الوسائل التي أسهمت عبر التاريخ في تعزيز التفاعل الحضاري بين الأمم، وهي في الرؤية القرآنية ليست مجرد أداة وظيفية لنقل المعنى من لغة إلى أخرى، بل وسيلة إنسانية للتعارف

[12].مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، (بيروت: دار الفكر، 1986)، ص128

والتفاهم وبناء الجسور بين الشعوب والثقافات. يشير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، إلى أن التنوع البشري والتعدد الثقافي هما جزء من الخطة الإلهية للحياة على الأرض، وأن الغاية من هذا التنوع ليست الصراع، وإنما "التعارف" الذي يعني المعرفة المتبادلة، والفهم المتبادل، والتعاون المشترك. ومن هنا، تصبح الترجمة ضرورة حضارية لا غنى عنها، لأنها الأداة التي تُتيح لكل أمة أن تنفتح على غيرها من دون التخلي عن هويتها.

أولا :الترجمة والرسالة العالمية للقرآن

فالقرآن الكريم يخاطب "الناس" لا فقط العرب، كما في آيات كثيرة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، وهو ما يدلّ على أن الرسالة موجهة إلى البشرية جمعاء. لكن تحقيق هذا المقصد الكوني يتطلب إزالة الحواجز اللغوية، عبر الترجمة، التي تجعل معاني القرآن وتعاليمه متاحة للأمم والشعوب الأخرى بلغاتهم. وبذلك، فإن الترجمة ليست عملاً مكمّلاً للدعوة أو اجتهادًا ثقافيًا فقط، بل هي جزء من تحقق عالميّة الإسلام. ومن هنا، كان الصحابة والتابعون في العصور الأولى حريصين على تبليغ الإسلام بلغات الأمم الأخرى، كما فعل جعفر بن أبي طالب حين خاطب النجاشي بلغة يفهمها، حاملاً إليه مضامين سورة مريم.

ثانيا : دور الترجمات في بناء التقاليد العلمية العالمية

لقد ساهمت الترجمات القديمة للقرآن منذ العصر العباسي، مثل الترجمات الفارسية والتركية، ثم الترجمات اللاتينية في العصور الوسطى، في إدخال مفاهيم قرآنية وفكرية إلى البيئة الغربية، مما مهد الطريق لاحقًا لنشوء دراسات استشراقية، وإن لم تكن دائمًا موضوعية. ثم جاء العصر الحديث ليشهد ترجمات دقيقة أكاديمية لمعاني القرآن إلى لغات العالم، مما ساعد على نشر رسالة الإسلام بلغة يفهمها أهل كل منطقة وثقافة.

ويشير عبد الرؤوف إلى أن "الترجمة القرآنية كانت وما زالت البوابة الرئيسة لتلقي الفكر الإسلامي، خصوصًا لدى من لا يحسنون اللغة العربية[13] ."فقد أتاحت الترجمات لملايين المسلمين غير العرب أن يتفاعلوا مع الكتاب الكريم، ويمارسوا شعائرهم في ضوء فهم معانيه، وهو ما لا يمكن تحقيقه دون هذا الجسر الحضاري.

ثالثا :الترجمة والتقارب بين الشعوب

من خلال الترجمة، لا يُعرف الإسلام فقط بوصفه دينًا، بل كحضارة حاملة لقيم العدل والمساواة والرحمة. كما أن الترجمة تتيح لغير المسلمين أيضًا أن يطلعوا على الخطاب القرآني بعيدًا عن التشويهات، ما يسهم في تصحيح الصور النمطية، ويعزز من حوار الثقافات.

---

13 Abdul-Raof, H. (2001). *Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis*. London: Routledge. p. 3

ففي السياق الحضاري المعاصر، تُسهم الترجمات الدقيقة لمعاني القرآن في تجاوز الحدود الجغرافية والثقافية، لتكوين مشترك إنساني يتأسس على الاحترام والتفاهم. ومن ثم، فإن الترجمة ليست مجرد "نقل كلمات"، بل مشروع حضاري يتطلب الكفاءة اللغوية والثقافية والروحية.

المطلب الثاني: دور الترجمة في نقل القيم الحضارية للقرآن

يشكّل القرآن الكريم نصًّا ذا طابع حضاري شامل، ليس لأنه يتضمن أحكامًا وتشريعات فحسب، بل لأنه يُعبّر عن رؤية كونية للوجود الإنساني ترتكز على مبادئ كونية مشتركة. ومن هذه المبادئ: العدالة، والحرية، والرحمة، والتسامح، والكرامة الإنسانية. هذه القيم ليست محصورة في دائرة المؤمنين بالإسلام فقط، بل تتوجه إلى البشرية جمعاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، الذي يربط بين الرسالة النبوية ومنظور عالمي شامل للرحمة.

أولا : **الترجمة أداة لإظهار البعد الأخلاقي للخطاب القرآني**

الترجمة الدقيقة لمعاني القرآن تُمكِّن الثقافات الأخرى من تذوق هذا البعد الأخلاقي، وفهم أن الإسلام يحمل خطابًا إنسانيًا يتقاطع مع منظومات أخلاقية عالمية، لا يتصادم معها. فترجمة آية مثل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70] تعكس قيمة عليا تتمثل في الكرامة الإنسانية التي يمنحها الله لكل إنسان بغض النظر عن دينه أو عرقه أو لونه.

وتُسهم هذه الترجمات في إعادة تقديم الإسلام كدين يحترم الكينونة الإنسانية، ويؤمن بالاختلاف، كما في قوله تعالى :﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، وهو نص يؤسس لحرية المعتقد بوصفها قيمة حضارية. وتَبرز أهمية الترجمة هنا في نقل هذه المعاني بدقة، وبأسلوب يضمن تفاعل المتلقي غير المسلم معها بوعي حضاري، لا التباس لغوي.

ثانيا : الترجمة بوصفها مدخلاً للحوار الحضاري

لقد مثّلت الترجمات القرآنية، ولا سيما في اللغات الأوروبية، وسيلة للتواصل مع المجتمعات الغربية التي تبحث عن مضامين روحية وإنسانية وسط الأزمات الفكرية والأخلاقية التي تعيشها. كما أن الترجمة الدقيقة تسهم في تقويض الصور النمطية التي رُسمت عن الإسلام نتيجة الجهل أو التوظيف السياسي المغرض.

ومن ثم، فإن وظيفة الترجمة لا تقتصر على الشرح أو التفسير، بل تتحول إلى وسيلة لإبراز الفكر الأخلاقي الإنساني في القرآن، كما يشير إلى ذلك مصطفى مصطفى بقوله: "الترجمة القرآنية لا يمكن أن تُفهم في معزل عن الرسالة الأخلاقية التي يحملها النص، فكل ترجمة هي بالضرورة فعل ثقافي وتواصلي يسهم في صياغة التفاعل مع الآخر[14]."

[14] Mustapha, A. (2005). *Translation and the Transmission of Islamic Knowledge: Approaches and Challenges*. Journal of Islamic Studies, 16(2), 157–173. , p. 166

ثالثا : تجارب ناجحة في الترجمة الحضارية

من أبرز التجارب الناجحة في هذا المجال، الترجمات التي اهتمت بالبعد القيمي لا الحرفي، مثل ترجمة *عبد الله يوسف علي* إلى الإنجليزية، التي أرفق فيها الترجمة بشرح أخلاقي وفلسفي للآيات. كما أن الترجمات الفرنسية الحديثة، مثل ترجمة *محمد حميد الله*، سعت إلى إظهار الجانب الروحي والحقوقي في الإسلام بطريقة عقلانية ومُنفتحة، مما أسهم في تحسين صورة الإسلام في البيئة الثقافية الفرنسية.

المطلب الثالث: التبادل الثقافي آلية لحماية الخصوصية الحضارية في القرآن

يُفهم التبادل الثقافي غالبًا على أنه مدخل لفقدان الهوية أو "تذويب الذات" في الآخر، إلا أن الرؤية القرآنية تُعيد صياغة هذا المفهوم على أساسٍ مغاير. فالقرآن لا يرى في الانفتاح الثقافي خطرًا في حد ذاته، بل وسيلة لتعزيز القيم الذاتية من خلال الحوار، والحجة، والتواصل العقلاني. إذ يُقِرّ القرآن مبدأ الاختلاف كقيمة، لا كعائق، ويؤكد على خصوصية الرسالة الإسلامية مع إفساح المجال للتواصل الإنساني.

يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وفي هذا توجيه صريح إلى منهج حضاري في الدعوة، قائم على **الجدال الحَسَن والحكمة**، لا على المواجهة والتعصب.

أولا : الخصوصية الحضارية لا تعني الانغلاق

إن الخصوصية الحضارية في القرآن لا تعني الانكفاء على الذات أو الانغلاق دون الآخر، بل تعني التمسّك بالقيم الأساسية والانفتاح المدروس على ما لا يتعارض مع العقيدة .وقد ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، وهذا يعترف بتنوع التشريعات بين الأمم، مما يُعزز قيمة التعدد داخل الإطار الإيماني العام. فالقرآن لا يُلغي الثقافات الأخرى، بل يدعو إلى التفاعل معها دون التفريط في الأصالة، وهو ما يجعل من التبادل الثقافي وسيلة لحماية الذات لا لتفتيتها.

ثانيا :الترجمة أداة للتواصل دون التفريط

من أبرز صور التبادل الثقافي الناجح التي تحترم الخصوصية، الترجمة القرآنية التي تلتزم بالمفاهيم الجوهرية للنص، ولا تحاول تكييفه حسب الأطر الفكرية الغربية أو الأيديولوجيات المعاصرة. فالمترجم هنا لا يُقحم رؤيته على النص، بل ينقله بأمانة، مما يُتيح للثقافات الأخرى فهماً صحيحًا للإسلام، ويحافظ في الوقت نفسه على *سلامة الهوية الإسلامية*. وهنا يشير *فرحان إسحق* (Farid Esack)إلى أن الترجمة والدعوة في المنظور القرآني ليستا محاولات لفرض التفوق، بل لتقديم الإسلام باعتباره خيارًا حضاريًا عقلانيًا، يقوم على الاحترام المتبادل والندية لا على الإملا[15].

[15] Esack, F. (1997). *Qur'an, Liberation and Pluralism: An Islamic Perspective of Interreligious Solidarity Against Oppression*. Oxford: Oneworld Publications. p. 78

ثالثا :نموذج من التفاعل الحضاري في السيرة

نجد تطبيقًا عمليًا لهذه الرؤية في موقف النبي ﷺ من نصارى نجران، حين استقبل وفدهم في المسجد، وترك لهم حرية التعبير والحوار، بل أتاح لهم أداء شعائرهم، وهو ما يشكّل صورة مبكرة لما يمكن تسميته بـ **الضيافة الثقافية الإسلامية** التي تحفظ خصوصية العقيدة، لكنها لا ترفض الآخر.

المطلب الرابع: تحديات الترجمة في تحقيق المقاصد الحضارية للنص القرآني

رغم الأهمية الكبرى التي تؤديها الترجمة في فتح آفاق التفاعل الحضاري مع النص القرآني، إلا أن هذه المهمة لا تخلو من صعوبات وتحديات عميقة. وتزداد هذه التحديات تعقيدًا حين يتعلق الأمر بترجمة *نص مقدّس* يتميّز بثراء لغوي وبلاغي وتاريخي وروحي فريد، وهو ما يجعل نقل معانيه إلى لغات أخرى عملاً بالغ الدقة والخطورة. وإذا لم تتم الترجمة بوعي علمي ولساني عميق، فإنها قد تتحول من جسر حضاري إلى أداة تشويه وفهم خاطئ.

أولا: .الاختلاف في البنية الثقافية واللغوية

يعد الفرق الكبير بين اللغة العربية الكلاسيكية، بما فيها من خصوصيات صرفية ونحوية وبلاغية، وبين اللغات الحديثة التي تُترجم إليها، من أبرز التحديات. فالكثير من مفردات القرآن محمّلة بطبقات من المعاني والإيحاءات البلاغية، يصعب اختزالها في كلمات مقابلة في لغة أخرى. على سبيل المثال، لفظة "التقوى" تحمل في السياق القرآني معنىً مركّبًا من الخوف والخشية والمراقبة والالتزام، بينما تُترجم غالبًا إلى "piety" أو"God-consciousness" ، وهي ترجمات لا تُوصل بالضرورة كامل البنية الدلالية للمصطلح.

ثانيا : .الخلفية الإيديولوجية والثقافية للمترجم

يلعب المترجم دورًا حاسمًا في تشكيل الصورة الذهنية عن الإسلام، من خلال اختياراته الاصطلاحية، وتفسيره للمعاني، وما يُسقطه من خلفيات ثقافية أو دينية على النص. وقد تُفضي بعض الترجمات، خصوصًا التي أُنجزت من قِبَل مترجمين غير مسلمين، إلى تحريف غير مقصود أو إسقاطات تأويلية من خارج النص، مما يُفقد الرسالة القرآنية روحها الحضارية. ويُنبّه عبد الرؤوف إلى أن" :الترجمة غير المدروسة للنصوص المقدسة قد تؤدي إلى نقل تصورات مغلوطة، مما يضعف الأثر الحضاري للنص القرآني في المجتمعات المستقبلة له[16]"

ثالثا: .الترجمات الحرفية وفقدان البعد البلاغي

يمثل الترجمة الحرفية واحدة من أخطر المزالق، إذ تؤدي إلى تضييع الجمالية النصية، والمستوى البلاغي العالي للقرآن، وهي عناصر جوهرية في التأثير الحضاري للنص. فالقرآن لا يُقنع فقط بالمعنى، بل

[16] Abdul-Raof, H. (2006). *New Horizons in Qur'anic Linguistics: A Syntactic, Semantic and Stylistic Analysis*. London: Routledge. *p. 89*

أيضًا بطريقة التعبير عنه. ومن هنا، فإن الترجمة التي تُفرّغ النص من عناصره الجمالية تفتقد عنصر التأثير والإقناع الذي يشكل جوهر الخطاب الحضاري القرآني.

رابعا : .اختلاف السياقات التداولية

إن الخطاب القرآني محمّل بسياقات دينية وتاريخية وثقافية مخصوصة، تُضفي على ألفاظه معاني إضافية لا تُستشف من ظاهر الكلمات. ونقل هذه السياقات إلى ثقافات مختلفة يتطلب معرفة دقيقة بثقافة المتلقي، وتكييف الخطاب بما لا يُفقده أصالته. وهو تحدٍّ كبير، إذ يتعين على المترجم أن يُحافظ على **أمانة النص** دون أن يُشوّش على المتلقي أو يبتعد عن روح القرآن.

خامسا: .الحلول الممكنة

للتغلب على هذه التحديات، توصي البحوث القرآنية المعاصرة بضرورة:

- الترجمة التفسيرية لا الحرفية، مع ملاحق تفسيرية.
- إشراف لجان علمية متعددة التخصصات (لغة، تفسير، ثقافة).
- مراعاة مستويات المتلقي (عام، أكاديمي، متخصص).
- تطوير نظريات ترجمة إسلامية تتكئ على علوم القرآن واللسانيات الحديثة.

المبحث الخامس: تجليات الترجمة القرآنية المعاصرة و آفاق التبادل الثقافي

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم اليوم، أصبحت الترجمة القرآنية أكثر من ضرورة معرفية، بل أداة استراتيجية لتعزيز التفاهم بين الشعوب، والتصدي لسوء الفهم الناتج عن الجهل بمضامين الرسالة الإسلامية. وقد أسهمت الجهود المعاصرة في ميدان ترجمة معاني القرآن الكريم في نقل الخطاب القرآني إلى سياقات لغوية وثقافية مختلفة، مما ساعد على تقريب المفاهيم، وتصحيح الصور النمطية، وفتح آفاق جديدة للتبادل الثقافي البناء.

ويتجلى البعد العملي لهذا التوجه في المبادرات المؤسساتية والفردية التي عملت على ترجمة القرآن إلى لغات متعددة، مع مراعاة الدقة اللغوية، والحمولة الدلالية، والسياق الحضاري للنصوص. كما ساهمت الترجمة الرقمية والتقنيات الحديثة في توسيع دائرة الانتشار والتلقي، ما أتاح للقرآن الكريم أن يكون جزءًا من الحوارات الثقافية والدينية المعاصرة. يسعى هذا المبحث إلى دراسة النماذج المعاصرة لترجمة معاني القرآن الكريم، وتحليل أثرها في تحقيق التبادل الثقافي، مع التطرق إلى التحديات التي تواجه هذه العملية، مثل التحيز الثقافي، وصعوبة نقل الخصوصية البلاغية للنص القرآني، وحاجة المترجم إلى فهم مزدوج للنص والواقع المتلقي.

المطلب الأول: تجارب ترجمة معاني القرآن في السياق المعاصر

شهدت العقود الأخيرة تطورًا ملحوظًا في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم، سواء من حيث الكم أو الكيف، نتيجة تزايد الاهتمام العالمي بالإسلام، والرغبة في فهم أعمق للنصوص الدينية الإسلامية، خاصة في ظل تصاعد التحديات الثقافية والدينية وسوء الفهم المتبادل بين المجتمعات. وقد تنوعت هذه التجارب بين الجهود الفردية الرائدة والمشروعات المؤسساتية الضخمة التي تتوخى الدقة والاحترافية.

أولا: .الانتشار العالمي للترجمات القرآنية

وفق الإحصاءات الحديثة، تُرجمت معاني القرآن الكريم إلى أكثر من مئة لغة حية، تشمل اللغات الأوروبية والآسيوية والإفريقية، بل وحتى بعض اللغات المحلية واللهجات الإقليمية. وتُعد هذه الترجمات إحدى الوسائل الفاعلة في نشر رسالة الإسلام، وتعريف غير الناطقين بالعربية بمضامين القرآن، بما يسهم في تصحيح الصور النمطية المغلوطة عن الدين الإسلامي وثقافته.

ثانيا : .الترجمات الفردية: تجربة عبد الله يوسف علي

من أبرز الترجمات التي خلّفت أثرًا واسعًا على مستوى العالم الناطق بالإنجليزية، ترجمة عبد الله يوسف علي (Abdullah Yusuf Ali)التي نُشرت أول مرة عام 1934. وتمتاز هذه الترجمة بطابعها التفسيري، حيث جمع المترجم بين نقل المعنى الحرفي للنص القرآني وتقديم شروح وتوضيحات هامشية تساعد القارئ غير المسلم على استيعاب السياقات العقائدية والثقافية للنص. كما حاول يوسف علي – من خلال مقدماته وتعليقاته – تقديم تفسير يمزج بين البُعد الروحي والدلالة الحضارية، مما منح ترجمته بعدًا ثقافيًا ودعويًا في آنٍ معًا، وجعلها من أكثر الترجمات تداولاً وانتشارًا، خاصة في الأوساط الجامعية والمراكز الإسلامية في الغرب.

ثالثا: .الترجمات المؤسساتية: مجمع الملك فهد

ومن النماذج المؤسسية البارزة في السياق المعاصر، ترجمة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، والتي تميزت بالدقة اللغوية والمنهجية العلمية. إذ يُشرف على هذه الترجمات لجان علمية متخصصة تضم علماء في التفسير واللغة والترجمة، بهدف الحفاظ على المعنى الصحيح للنص القرآني، وضمان اتساقه مع العقيدة الإسلامية وضوابط اللغة المستهدفة. وقد أصدر المجمع عشرات الترجمات المعتمدة إلى لغات متعددة، مع مراجعات دورية للتأكد من استمرارية الجودة، مما أتاح وصول النص القرآني إلى الملايين من المتلقين حول العالم في صورة متقنة وعلمية.

رابعا : .الآثار الثقافية والدعوية في الترجمات

لقد أسهمت هذه الترجمات – بشقيها الفردي والمؤسسي – في فتح قنوات التواصل بين الإسلام والآخر، وفي تعزيز التبادل الثقافي، وتقليص الهوة المعرفية التي تفصل بين العالم الإسلامي والبيئات الغربية والآسيوية.

كما ساعدت في بناء جسر معرفي وإنساني يتيح لغير المسلمين قراءة القرآن دون وسائط مشوشة، ويفتح الباب أمام حوارات دينية وحضارية مبنية على الفهم المباشر، لا على التلقين أو التشويه الإعلامي. ويرى نصر حامد أبو زيد أن الترجمة هي أداة مركزية في تحويل "النص" إلى مادة حوار حضاري، مشيرًا إلى أن "القرآن، حين يُترجم، يتحوّل من خطاب سلطوي مغلق على نفسه إلى نص مفتوح للنقاش والتفاعل بين الثقافات"[17].

[17].أبو زيد، نصر حامد. (2004). النص، السلطة، الحقيقة. بيروت: المركز الثقافي العربي، ص 213

المطلب الثاني: تحديات الترجمة في نقل الدلالات القرآنية الحضارية

بالرغم الأهمية البالغة لترجمة معاني القرآن الكريم في مد جسور التفاهم الحضاري بين الأمم، فإن هذه العملية تواجه جملة من التحديات المعقدة، خاصة عند محاولة نقل الدلالات الحضارية العميقة التي يتضمنها النص القرآني. فالنص القرآني ليس مجرد خطاب ديني، بل هو بناء لغوي وثقافي يحمل مفاهيم تعكس رؤية حضارية متكاملة، ترتبط بالسياق العربي الإسلامي من جهة، وبالرسالة العالمية للإسلام من جهة أخرى.

أولا: .الترجمة الحرفية وضياع العمق البلاغي والدلالي

تُعد الترجمة الحرفية من أبرز التحديات التي تواجه نقل المعاني القرآنية. فالنقل الحرفي غالبًا ما يؤدي إلى طمس الأبعاد البلاغية التي يتسم بها النص القرآني، خصوصًا في ما يتعلق بالأساليب البيانية، كالتشبيه، والاستعارة، والإيجاز، والتكرار الهادف. هذه الخصائص لا تُمكن ترجمتها حرفيًا دون الإخلال بالمعنى أو فقدان جزء من الحمولة الدلالية. فمثلاً، آيات تتضمن إعجازًا لغويًا عاليًا كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35)، تحتاج إلى معالجة لغوية تتجاوز الترجمة المباشرة لـ "الله نور..." إلى شرح السياق الدلالي والرمزي لمفهوم "النور" في التصور القرآني، بما يحمله من معانٍ إلهية وهداية وجودية.

ثانيا: .الاختلاف الثقافي بين السياق العربي الإسلامي وسياق المتلقي

ثمة تحدٍّ كبير يتمثل في الفجوة الثقافية بين المرجعية الإسلامية للنص القرآني وبين المرجعيات الثقافية المختلفة لدى المتلقين من بيئات غربية أو آسيوية. فكثير من المصطلحات القرآنية ذات جذور مفهومية لا تُدرك إلا ضمن سياقها الديني والتاريخي، مثل مفاهيم "الرحمة"، "العزة"، "العبودية"، و"الفتنة". نقل هذه المصطلحات إلى لغات أخرى دون شرح أو تكييف ثقافي قد يؤدي إلى إساءة الفهم أو إسقاطات تأويلية خاطئة.

ثالثا: .الافتقار إلى الخلفية الشرعية والمعرفية لدى بعض المترجمين

من التحديات الجوهرية كذلك غياب التكوين الشرعي والمعرفي المتوازن لدى بعض المترجمين، خصوصًا من غير المتخصصين في علوم القرآن واللغة العربية. هذا النقص قد يفضي إلى ترجمات تُفرغ النص من محتواه العقدي والتشريعي، أو تُشوّه مقاصده الحضارية. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، ترجمة لفظ "التقوى" إلى "fear of God"، التي تُختزل في جانب الخوف، بينما "التقوى" في السياق القرآني تشمل الخوف، والحب، والتعظيم، والالتزام، وهو ما يفيد معنى مركبًا يتطلب شرحًا معرفيًا وتأصيليًا دقيقًا[18].

رابعا: .الحاجة إلى تكامل معرفي متعدد التخصصات

انطلاقًا من هذه التحديات، تبرز ضرورة اعتماد منهجية تكاملية في ترجمة النص القرآني، تقوم على التفاعل بين علوم اللغة (اللسانيات، علم الدلالة، علم الأسلوب)، وعلوم الشريعة (التفسير، أصول

[18] المرجع السابق، ص 123

الفقه)، والدراسات الثقافية. هذه المقاربة تسمح بفهم شامل للمعاني القرآنية في أبعادها اللغوية والشرعية والحضارية، كما تضمن تقديم النص بصورة تتماشى مع المرجعية الإسلامية وتصل بوضوح إلى المتلقي المعاصر.

وقد أكد عدد من الباحثين المعاصرين على هذه الضرورة، مثل كاثرين هودسون في دراستها حول الترجمة الدينية، حيث تشير إلى أن "الترجمة الحقيقية للقرآن الكريم لا تقتصر على اللفظ، بل تحتاج إلى نقل روح النص وسياقه الحضاري الكامل"[19].

المطلب الثالث: آفاق الترجمة القرآنية في دعم الحوار الحضاري العالمي

في ظل ما يشهده العالم من تصاعد في التوترات الدينية والصراعات الثقافية، تبرز الترجمة القرآنية كأداة استراتيجية لتعزيز السلام الثقافي والحوار الحضاري بين الأمم والشعوب. ولم تعد الترجمة مجرد وسيلة لنقل المعاني اللغوية، بل أضحت فعلاً تواصليًا وحضاريًا يسهم في صياغة فهم إنساني مشترك يقوم على الاعتراف المتبادل والاحترام المتكافئ.

أولا: .القرآن كنص إنساني عالمي

يُعد القرآن الكريم في جوهره نصًا يخاطب الإنسان في كينونته المشتركة، ويكرّس قيمًا إنسانية عالمية مثل الرحمة، العدل، المساواة، والكرامة. ومن هنا، فإن الترجمة الجيدة لمعاني القرآن لا تنقل فقط معانيه الدينية، بل تعيد تقديمه **كوثيقة إنسانية** قادرة على المساهمة في معالجة الأزمات الأخلاقية والقيمية التي تواجه البشرية. فآيات مثل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء: 70) {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (الحجرات: 13) تقدّم رؤية عالمية قائمة على تكريم الإنسان والتعدد والتعارف، وهي مفاهيم قابلة للتقاطع مع مرجعيات إنسانية كونية في الفكر والفلسفة وحقوق الإنسان.

ثانيا: .توطيد الحوار بين الأديان والثقافات

من خلال الترجمة القرآنية، يمكن إبراز المشتركات القيمية بين الإسلام والديانات الأخرى، كالإيمان بالله، والأخلاق، والتكافل، واحترام الآخر. هذه المشتركات تمثّل أساسًا لبناء جسور الحوار والتفاهم، وتفكيك الصور النمطية التي رسّخها الإعلام أو الصراعات السياسية. فالقرآن يعترف بالديانات الأخرى ويؤكد على وحدة الرسالات، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا...} (المائدة: 69) وتتيح الترجمة إظهار هذا الخطاب التسامحي الإيماني بلغة يفهمها الآخر، وتستوعب خصوصيته الثقافية والدينية.

ثالثا: .نحو خطاب دعوي عالمي

لم تعد الترجمة تقتصر على الفعل اللغوي، بل أصبحت جزءًا من مشروع الدعوة المعاصرة، التي تتطلب تطوير خطاب يتناسب مع متغيرات العالم، ويعتمد على أدوات علمية وإنسانية قادرة على إقناع

[19] انظر: هودسون، كاثرين. (2018). Translating the Divine: Challenges in Rendering the Quran. Journal of Religious Texts, Vol. 6, No. 2, p. 147.

المتلقي غير المسلم. وهنا، تلعب الترجمة الحضارية لمعاني القرآن دورًا في تقديم الإسلام بلغة العصر، دون تفريط في ثوابته، بحيث يكون الخطاب الإسلامي عالميًا، عقلانيًا، وغير استعلائي. فالخطاب الناجح في العصر الحديث هو الذي يوازن بين الانفتاح على الآخر والتمسّك بالهوية.

رابعا: .نحو ترجمة مؤسسية تدعم الحوار

برزت خلال السنوات الأخيرة مبادرات مؤسسية مثل مشاريع الترجمة التي يقوم بها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ومركز الدراسات القرآنية بالأزهر، وكذلك مؤسسات علمية أوروبية تعمل على ترجمة معاني القرآن بأساليب جديدة تراعي الخصوصيات الثقافية للقارئ. ومن أبرز الوثائق التي دعت إلى تعزيز هذا النوع من الخطاب الترجمي، وثيقة الأخوة الإنسانية التي صدرت عام 2019 بتوقيع مشترك بين شيخ الأزهر الإمام أحمد الطيب وبابا الفاتيكان فرنسيس، حيث نصّت على ضرورة:

"احترام الخصوصية الدينية والثقافية في إطار الإنسانية المشتركة، واعتماد خطاب ديني عالمي يقوم على الترجمة الحضارية والتفاهم المتبادل." [20] وهي دعوة واضحة إلى تبني منهج الترجمة جسرا حضاريا بين الأديان والثقافات.

الخاتمة:

قدمثّل هذا البحث الموسوم" :الأبعاد الحضارية في الترجمة والتبادل الثقافي في ضوء النص القرآني: مقاربات ثقافية واجتماعية "محاولة علمية جادة لبلورة رؤية شاملة حول الدور الحضاري والتواصلي الذي تؤديه الترجمة، ولا سيما ترجمة معاني القرآن الكريم، في تعزيز التفاهم بين الشعوب والثقافات، وبناء خطاب قرآني إنساني عالمي.

وقد سعى البحث، عبر أربعة مباحث رئيسة، إلى تفكيك المفاهيم المرتبطة بالترجمة والتبادل الثقافي، واستقراء الأبعاد الحضارية في الخطاب القرآني، ثم رصد التجارب والتحديات المعاصرة، وتحديد الآفاق الممكنة لمشروع الترجمة الحضارية في إطار من الوعي الثقافي والديني المشترك.

أولًا: النتائج:

1. الترجمة القرآنية فعل حضاري، يتجاوز البعد اللغوي إلى كونه مشروعًا إنسانيًا يربط بين الأمم ويعزّز التفاعل القيمي بين الحضارات.
2. النص القرآني يحمل بعدًا إنسانيًا كونيًا، يمكن أن يشكّل قاعدة صلبة لحوار حضاري شامل، إذا ما تم نقله وترجمته بلغة تحترم الخصوصيات الثقافية والدينية للآخر.
3. تعدد الترجمات وتنوعها يسهم في كسر الصور النمطية عن الإسلام ويقدّم صورة أكثر إنصافًا وعدالة عن قيمه وتعاليمه.
4. من أهم التحديات التي تواجه الترجمة القرآنية: الفهم القاصر للنص، الترجمة الحرفية، والافتقار إلى تكوين شرعي ولغوي متين لدى المترجمين.

[20].وثيقة الأخوة الإنسانية، أبوظبي، 2019

5. التكامل بين علوم اللغة، والدراسات الثقافية، والعلوم الشرعية يُعد شرطًا جوهريًا في بناء مشروع ترجمي ناجح يخدم الرسالة القرآنية في بعدها العالمي.

ثانيًا: التوصيات:

1. إنشاء مراكز متخصصة في الترجمة الحضارية للنصوص الإسلامية، تضم خبراء في الشريعة، واللسانيات، والدراسات الثقافية.
2. اعتماد منهج نقدي في تقييم الترجمات المتوفرة، بغرض تحسينها وتجاوز ثغراتها، مع مراعاة السياقات الثقافية المختلفة.
3. تكوين مترجمين مؤهلين علميًا وثقافيًا عبر برامج أكاديمية تجمع بين الدراسات الإسلامية واللغوية والأنثروبولوجية.
4. دعم الترجمات الموجهة للجمهور غير المسلم بلغة قريبة من ثقافتهم، دون إخلال بجوهر النص القرآني.
5. تشجيع التعاون الدولي بين المؤسسات الإسلامية والمراكز الأكاديمية العالمية لتطوير مشاريع ترجمة مشتركة تتسم بالاحترافية والاعتدال.

ثالثًا: آفاق الدراسة المستقبلية

يفتح هذا البحث المجال أمام دراسات مستقبلية يمكن أن تتناول:

- تحليل مقارن بين ترجمات معاني القرآن في اللغات العالمية الكبرى (الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، الصينية...) من حيث البنية الدلالية والدقة الثقافية.
- دراسة تأثير الترجمات القرآنية في تغيير الصور النمطية عن الإسلام في الإعلام الغربي.
- رصد التجارب الدعوية الناجحة المبنية على الترجمة الحضارية، واستثمارها كنماذج في الخطاب الإسلامي المعاصر.
- تحليل خطاب الترجمة في السياقات غير الإسلامية ومدى قبوله أو مقاومته ضمن أنظمة المعرفة السائدة.

قائمة المراجع:

1. ابن نبي، مالك .(1986) .*مشكلة الثقافة* .بيروت: دار الفكر.
2. بابه، هويمي *The Location of Culture* .(1994) .(الموقع الثقافي). لندن: روتليدج) .*الاقتباس من النسخة الإنجليزية، لا توجد ترجمة عربية معتمدة*).
3. سعيد، إدوارد .(1997) .*الثقافة والإمبريالية* (ترجمة كمال أبو ديب). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
4. طرابيشي، جورج .(2010) .*من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث: النشأة المستأنفة* .بيروت: دار الساقي.

5. فيرمير، هانس. (2000). Skopos and Commission in Translational Action. في لورنس فينوتي (محرر)، The Translation Studies Reader (ص 221). لندن: روتليدج.
6. مؤنس، حسين. (1997). *الحضارة: دراسة في تاريخها ومعناها وتطورها*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المراجع الأجنبية :

Abdul-Raof, H. (2001). *Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis*. London: Routledge.

Abdul-Raof, H. (2006). *New Horizons in Qur'anic Linguistics: A Syntactic, Semantic and Stylistic Analysis*. London: Routledge.

Esack, F. (1997). *Qur'an, Liberation and Pluralism: An Islamic Perspective of Interreligious Solidarity Against Oppression*. Oxford: Oneworld Publications.

Mustapha, A. (2005). Translation and the Transmission of Islamic Knowledge: Approaches and Challenges. *Journal of Islamic Studies*, 16(2), 157–173. https://doi.org/10.1093/jis/16.2.157

The Holy Qur'an. (n.d.). *Translations and Commentaries*, various editions.